سلسلة أمهات المؤمنين

صفيَّة بنت حُيَيّ

رضي الله عنها

بقلم

سمية عبد الحليم

مكتبة العبيكان

© مكتبة العبيكان، ١٤٢١هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

لجنة التأليف والترجمة بمكتبة العبيكان

صفية بنت حيي.- الرياض.

٣١ ص، ١٧X ٢٤ سم - (سلسلة أمهات المؤمنين؛ ٧)

ردمك: ٩ - ٧٦٠ - ٢٠ - ٩٩٦٠

١- صفية بنت حيي بن أخطب، ٢- زوجات النبي

أ- العنوان ب - السلسلة

ديوي ٧، ٢٣٩ ٢١/٢٨١٤

ردمك: ٩ - ٧٦٠ - ٢٠ - ٩٩٦٠ رقم الإيداع ٢١/٢٨١٤

الطبعة الأولى

١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م

حقوق الطبع محفوظة للناشر

الناشـــر

مكتبة العبيكان

الرياض - العليا - طريق الملك فهد مع تقاطع العروبة

ص.ب ٦٢٨٠٧ الرمز ١١٥٩٥

هاتف ٤٦٥٤٤٢٤ فاكس ٤٦٥٠١٢٩

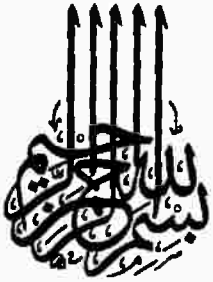
بسم الله الرحمن الرحيم

عن صفية رضي الله تعالى عنها قالت:

دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أبكي، فقال: **"يا بنت حييٍّ، ما يبكيك؟"**

قالت: بلغني أن حفصة وعائشة ينالان مني ويقولان: نحن خير منها، فنحن بنات عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأزواجه.

قال: **"ألا قلت لهن: كيف تكن خيراً مني وأبي هارون، وعمي موسى، وزوجي محمد صلوات الله عليهم ؟!"**

«رواه الترمذي والحاكم»

ابنة حُيي!!

عندما نقرأ اسم أم المؤمنين صفية نضع بجوار اسم أبيها علامات تعجب...!!

وكيف لا نتعجب وهي ابنة حُيَيّ بن أخطب.. أحد زعماء اليهود.. وأحد أعداء الرسول ﷺ..

وما أدراك ما اليهود.. وعداوتهم للإسلام..

وها هي ابنة عدو لدود للإسلام، تسلم وتُصبح أمًّا من أمهات المؤمنين..

منذ قدم الرسول ﷺ إلى المدينة المنورة، واليهود يكيدون له ولأصحابه، في عداء واضح لم يستطع اليهود رغم مكرهم ونفاقهم إخفاءه..

لقد حقد اليهود على رسول الله ﷺ، فقد كانوا ينتظرون مبعث نبي منهم، فلما بعث وكان عربيًّا اغتاظوا؛ لأنه ليس منهم، وصاروا يجادلونه بشتى الوسائل، محاولين الطعن في رسالته ونبوته.. فيطرحون عليه أسئلة ملتوية، وفي مخيلتهم أنه سيعجز عن الإجابة عنها، ولكن الله معه ينصره عليهم ويقوي مركزه ويثبته..

ومن ذلك ما أخرجه البخاري عن قيس بن حفص عن علقمة بن عبدالله قال: بينا أنا أمشي مع النبي ﷺ في خرب المدينة وهو يتوكأ على

عسيب[1] معه، فمر بنفر من اليهود فقال بعضهم لبعض:

سلوه عن الروح. وقال بعضهم: لا تسألوه، لا يجيء بشيء تكرهونه. فقال بعضهم: لنسألنه، فقام رجل منهم فقال: يا أبا القاسم، ما الروح؟!

فسكت رسول الله، فقلت: يوحى إليه فقمت، فلما انجلى عنه الوحي قال:

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾[2]

فبهت اليهود وسكتوا..

* * *

وذات يوم اجتمع اليهود مع المشركين، وتظاهروا على رسول الله ﷺ وعلى المسلمين، وقال اليهود للمشركين:

- إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله..

فقال المشركون:

- يا معشر يهود، إنكم أهل الكتاب الأول وأصحاب العلم، بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد.. أفديننا خير أم دينه؟!..

---

(١) العسيب: جريد النخيل.

(٢) سورة الإسراء آية ٨٥.

فقال اليهود في نفاق وكذب:

- بل دينكم خير من دينه، وأنتم أولى بالحق..

فأنزل الله فيهم قول الله تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا﴾ (١)

* * *

أما عن عداء حُييٍّ بن أخطب للرسول ﷺ ولصحبه فشديد..

ومن ذلك ما جاء في كتب السيرة النبوية وروته ابنته السيدة صفية بعد إسلامها فتقول:

كنت أَحبَّ ولد أبي إليه وإلى عمي أبي ياسر، لم ألقهما قط مع ولدهما إلا أخذاني دونه.. فلما قدم رسول الله ﷺ -المدينة- غدا عليه أبي وعمي مغلّسين، فلم يرجعا حتى كان مع غروب الشمس، فأتيا كالّيْن ساقطين يمشيان الهُوينا، فهششت إليهما كما كنت أصنع..

---

(١) سورة النساء ٥١، ٥٢.

فو الله ما التفت إليَّ واحد منهما مع ما بهما من الغمّ، وسمعت عمي أبا ياسر يقول لأبي: أهو .. هو؟

فقال أبي: نعم والله ..

فقال عمي: أتعرفه وتثبته؟

قال: نعم.

فقال عمّي: فما في نفسك منه؟

أجاب أبي (حيي): عداوته والله ما بقيت..

* * *

نقض بني النضير العهد

بعد ستة أشهر من غزوة بدر التي نصر الله فيها المؤمنين، خرج رسول الله ﷺ إليهم في نفر من أصحابه، وكلمهم أن يعينوه في دية الكلابيين اللذين قتلهما عمرو بن أمية الضمري، فقالوا: نفعل يا أبا القاسم، وسوَّل لهم الشيطان الشقاء الذي كتب عليهم، فتآمروا بقتل النبي ﷺ، وقالوا: أيكم يأخذ هذه الرحا ويصعد فيلقيها على رأسه يشدخه؟ قال أشقاهم عمرو بن جحاش اليهودي: أنا، فقال له سلام بن مشكم: لا تفعلوا فوالله ليخبرن بما هممتم به، وإنه لنقض العهد الذي بيننا وبينه.

وجاء الوحي على الفور إليه من ربه تبارك وتعالى بما همّوا به، فنهض مسرعاً، وتوجّه إلى المدينة وحده، ولحقه بعد ذلك أصحابه، فقالوا: نهضت ولم نشعر بك، فأخبرهم بما همت يهود به، وبعث إليهم رسول الله ﷺ: أن اخرجوا من المدينة، ولا تساكنوني بها، وقد أجلتكم عشراً، فمن وجدت بعد ذلك بها ضربت عنقه، فأقاموا أياماً يتجهزون، وأرسل إليهم المنافق عبدالله بن أُبي أن لا تخرجوا من دياركم، فإن معي ألفين يدخلون معكم حصنكم، فيموتون دونكم، وتنصركم قريظة وحلفاؤكم من غطفان، وطمع رئيسهم حيي بن أخطب فيما قال له، وبعث إلى رسول الله ﷺ: إنا لا نخرج من ديارنا، فاصنع ما بدا لك، فكبر رسول الله ﷺ وأصحابه، ونهضوا إليه، وعلي ابن أبي طالب يحمل اللواء، فلما انتهى إليهم، قاموا على حصونهم يرمونهم

بالنبل والحجارة، واعتزلهم قريظة، وخانهم عبدالله بن أبي المنافق، وحلفاؤهم من غطفان، ولهذا شبه الله تعالى قصتهم، وجعل مثلهم ﴿ **كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ** ﴾ [الحشر: ١٦]. فإن سورة الحشر هي سورة بني النضير، وفيها مبدأ قصتهم ونهايتها، فحاصرهم رسول الله ﷺ، وقطع نخلهم، وحرقها، فأرسلوا إليه: نحن نخرج عن المدينة، فأنزلهم على أن يخرجوا عنها بنفوسهم وذراريهم، وأن لهم ما حملت الإبل إلا السلاح، وقبض النبي ﷺ الأموال والحلقة يعني السلاح.

وأجلاهم إلى خيبر وفيهم حيي بن أخطب[(١)].

هذه هي قصة إجلاء بني النضير عن المدينة، وقصة غدرهم وخيانتهم ومحاولتهم قتل رسول ﷺ اقرأ هذه القصة في سورة الحشر.

ولما خان اليهود مرة ثانية في غزوة بني قريظة وقتلهم النبي ﷺ كان حيي بن أخطب معهم في الخيانة العظمى في غزوة الأحزاب، فقال للنبي ﷺ: أما والله مالمت نفسي في عداوتك أبداً ولكن من يغالب الله يُغلب، ثم قال: يا أيها الناس، لا بأس، قدر الله على بني إسرائيل وملحمة كتبت عليهم، ثم حبس، فضربت عنقه[(٢)].

---

(١) زاد المعاد لابن القيم ٤/١٢٧ - ١٢٩.

(٢) زاد المعاد ٤/١٣٥.

يوم .. خيبر

عاد رسول الله ﷺ من الحديبية في المحرم من العام السادس للهجرة، ثم خرج لغزو خيبر في آخر المحرم نفسه، وجعل خلفه على المدينة نُميلة بن عبدالله الليثي، وجعل الراية بيد علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – وكانت راية بيضاء.

وارتجز عامر بن الأكوع يومها بأمر رسول الله ﷺ فقال:

والله لولا اللهُ ما اهتدينا ولا تصدَّقنا ولا صلَّينا

إنا إذا قوم بغوا علينا وإن أرادوا فتنةً أبيْنا

فأنزلنْ سكينةً علينا وثبتِ الأقدام إن لاقينا

فقال له رسول الله:

- **يرحمك الله.**

فقال رجل من القوم: وجبت يا رسول الله، لولا أمتعتنا به.

ولما اقترب رسول الله ﷺ من مشارف خيبر قال داعيًا ربه رافعًا يديه إلى السماء:

«**اللهم رب السموات وما أظللن، ورب الأرضين وما أقللن، ورب**

الشياطين وما أضللن، ورب الرياح وما أذرين[1] فإنا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها، ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها أقدموا باسم الله».

وكان صلى الله عليه وسلم يقول هذا الدعاء كلما أهلّ على قرية فاتحًا.

* * *

وصف المعركة:

قال أنس بن مالك – رضي الله عنه– «كان رسول الله ﷺ إذا غزا قومًا لم يُغِر[2] عليهم حتى يصبح، فإن سمع أذانًا أمسك[3]، وإن لم يسمع أذانًا، أغار؛ فنزلنا خيبر ليلاً، فبات رسول الله ﷺ حتى إذا أصبح لم يسمع أذانًا فركب وركبنا معه فركبت خلف أبي طلحة وإن قدمي لتمسُّ قدم رسول الله ﷺ واستقبلنا عمال خيبر غادين قد خرجوا بمساحيهم ومكاتلهم، فلما رأوا رسول الله ﷺ، قالوا: محمد والخميس[4] معه ..!! .. ثم أدبروا هربًا..

---

(١) ذرين: نشرت الريح ونثرت.

أقللن: وما حملتْ الأرض.

(٢) يُغر: من أغار على القوم أي هاجمهم في بلادهم.

(٣) أمسك: لم يُغر عليهم.

(٤) الخميس: الجيش.

فقال رسول الله ﷺ :

- الله أكبر ، خربت خيبر . . إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين . .

وكان عدد جند المسلمين ألفاً وأربعمائة راجل ومائتي فارس، وكانت غطفان قد أجمعت أمرها على مظاهرة يهود خيبر، وخرجوا إليهم فألقى الله في قلوبهم الرعب؛ حيث سمعوا صوتًا من خلفهم فظنوا أن أذى قد أصاب قومهم فرجعوا على أعقابهم وتركوا خيبر في مواجهة المسلمين . .

* * *

ونصر الله جنده . . وفتح رسول الله ﷺ حصون خيبر حصنًا حصنًا . . فتح حصون . . ناعم . . والقموص . . وحصن ابن أبي الحقيق . .

وكان ذلك في السنة السابعة للهجرة .

ومن سبايا حصن أبي الحقيق صفية بنت حُيي بن أخطب سيد بني النضير الذي قتل في غزوة بني قريظة . .

وأصاب المسلمون مغانم كثيرة بفتح خيبر من أموال وزروع وأراض وسبايا، ونهى رسول الله ﷺ المسلمين عن أربعة أشياء وهي :

- إتيان الحبالى من السبايا . .

- أكل الحمار الأهلي..

- أكل كل ذي ناب من السباع..

- بيع المغانم حتى تقسَّم..

ومن أوفرها مغنمًا وأكثرها أموالاً حصن الصعب بن معاذ، فقد دعا رسول الله ربه أن يعطي المسلمين من حصون خيبر فقال:

«اللهم إنك قد عرفت حالهم، وأن ليس بهم قوة، وأن ليس بيدي شيء أعطهم إياه، فافتح عليهم أعظم حصونها عنهم غناء وأكثرهم طعامًا ووَدكا»(١)

وروي أنه لما ذهب عليٌّ بن أبي طالب بالراية بأمر رسول الله ﷺ سبق الجيش، ولما وصل ركز رايته في حجارة تحت حصن، فاطلع عليه يهودي فقال له: من أنت؟!

- فقال: أنا علي بن أبي طالب..

فقال اليهودي: علوتم، «وما أنزل الله على موسى»(٢)..

وكانت هذه بشارة.. فما رجع الرسول ﷺ حتى نصره الله..

---

(١) وَدَكًا: قيل دسم اللحم ودهنه.

(٢) قسم يقسم به اليهود.

الأسيرة

لما أُخذت سبايا حصن أبي الحقيق كانت صفية منهن، فسأل الصحابي دِحية بن خليفة الكلبي النبيَّ أن يجعلها له، فأبدله الرسول ﷺ بدلاً منها ابنة عمها، وخصها بنفسه ﷺ رعايةً لمكانتها بين قومها.

ويُروى أن بلالا أتى بها ومعها واحدة أخرى إلى رسول الله ﷺ، ومر بهما على قتلاهما من اليهود، فولولت الأخرى ولطمت، فقال النبي ﷺ:

- أغربوا عني هذه الشيطانة.

ثم جعل صفية خلفه وألقى عليها رداءه، فعرف المسلمون أن رسول الله ﷺ قد اصطفاها لنفسه.

ثم قال لبلال رضي الله عنه:

- أنُزعت منك الرحمة يا بلال حين تمرُّ بامرأتين على قتلى رجالهما؟!.

* * *

كانت صفية متزوجة من رجل يدعى كنانة بن الربيع، وكانت ماتزال عروسًا عنده، وكانت قبله عند سلام بن مشكم القرظي شاعر اليهود وفارسهم، وزوجته هي التي حاولت بعد خيبر قتل الرسول ﷺ عندما وضعت له السم في الشاة.

ولما صالحه أهل خيبر بشرط أن ليس لهم من المال شيئًا، وأن يخرجوا من خيبر وليس لهم إلا ثيابهم، واشترط أيضاً عليهم أن لا يكتموا عليه شيئًا وإن كتم أحد منهم شيئًا برئت منه ذمة الله ورسوله فوافقوا على ذلك، فأتى رسول الله ﷺ بعم حيي بن أخطب فقال له: - «**ما فعل مسك حيي الذي جاء به من النضير؟**» قال: أذهبته النفقات والحروب. - فقال: «**العهد قريب، والمال أكثر من ذلك**» فدفعه رسول الله ﷺ إلى الزبير، فمسه بعذاب، فاعترف أن حييًّا طاف بخربة، فذهبوا فوجدوا المال فيها، فقتل رسول الله ﷺ ابني أبي الحقيق وأحدهما زوج صفية بنت حيي بسبب هذا النكث. بعد أن حلفوا له أنهم لم يغيبوا شيئًا فدفع كنانة إلى محمد بن مسلمة فقتله؛ لأن كنانة قتل محمود بن مسلمة أخا محمد.

* * *

الشاة المسمومة

لما انتهت المعركة واطمأنّ رسول الله ﷺ أهدت له زينب بنت الحارث زوج سلام بن مشكم شاةً مشوية وكانت قَد وضعت في ذراعها سمًّا كثيراً بعد أن علمت من الصحابة أنه يحب الذراع.

فلما جاء ليأكلها تناول ذراعها فمضغ مضغة فلم تعجبه، وكان معه الصحابي بشر بن البراء بن معرور فقضم مثل قضمة الرسول ﷺ وابتلعها، فأما الرسول ﷺ فلم يبتلعها فمات ابن البراء مسمومًا وقال رسول الله:

- **إن هذا العظم ليخبرني أنه مسموم.**

فقال: «**اجمعوا لي من هاهنا من اليهود**» قالوا: نعم يا أبا القاسم.

فقال لهم رسول الله ﷺ: **إني سائلكم عن شيء، فهل أنتم صادقيَّ فيه؟**

قالوا: نعم، يا أبا القاسم.

فقال لهم: **مَنْ أبوكم؟**

قالوا: أبونا فلان، قال: **كذبتم أبوكم فلان.**

قالوا: صدقت وبررت.

قال: **هل أنتم صادقي في شيء إن سألتكم عنه؟**

قالوا: نعم يا أباالقاسم، وإن كذبناك عرفت كذبنا كما عرفته في أبينا.

فقال رسول الله ﷺ: **من أهل النار؟**

فقالوا: نكون فيها يسيراً، ثم تخلفوننا فيها.

فقال لهم رسول الله ﷺ: **اخسؤوا فيها، فوالله لا نخلفكم فيها أبداً.**

ثم قال: **هل أنتم صادقي في شيء إن سألتكم عنه؟**

قالوا: نعم.

قال: **أجعلتم في هذه الشاة سمًّا؟**

قالوا: نعم. **قال: فما حملكم على ذلك؟**

قالوا: أردنا إن كنت كاذباً أن نستريح منك، وإن كنت نبياً لم يضرك[1].

ثم طلب زينب بنت الحارث، وسألها أن تعترف بفعلتِها، فقالت:

- بلغتَ من قومي ما لم يخف عليكم، فقلت: إن كان ملِكًا استرحت منه، وإن كان نبيًّا فسيُخْبر.

فعفا عنها رسول الله ﷺ أول الأمر، فلما مات بِشْرٌ قتلها به.

---

(١) رواه البخاري في صحيحة برقم: ٥٧٧٧.

ولما مرض رسول الله ﷺ مرض وفاته دخلت عليه أم بشر بنت البراء بن معرور أخت بشر بن البراء الذي مات مسمومًا فقال لها الرسول ﷺ :

- يا أم بِشر ، إن هذا الأوان وجدت فيه انقطاع أبهري[1] من الأكلة التي أكلت مع أخيك بخيبر .

فكان المسلمون يرون أن سيد الأولين والآخرين مات شهيداً من يوم خيبر، كما استشهد غيره، فجمع بذلك شرف النبوة وشرف الشهادة عليه الصلاة والسلام .

ولما انصرف رسول الله ﷺ من خيبر فكان ببعض الطريق إلى المدينة من آخر الليل، وأناخ القوم رواحلهم ليرتاحوا قال رسول الله ﷺ :

- من رجل يحفظ علينا الفجر لعلنا ننام؟

فقال بلال رضي الله عنه: أنا يا رسول الله أحفظه عليك .

فنزل رسول الله بالناس في ذلك المكان وناموا وقام بلال يصلي بالليل، ثم استند لناقته فأخذته سِنَةٌ من النعاس فما استيقظ إلا بعد طلوع الشمس ورسول الله ﷺ يقول له: **ماذا صنعت بنا يا بلال؟**

---

(١) أبهري: الأبهر عرق إذ انقطع مات صاحبه، وهما أبهران يخرجان من القلب ثم يتشعب منهما سائر الشرايين. (راجع لسان العرب مادة بهر.).

قال: يا رسول الله، أخذ بنفسي الذي أخذ بنفسك.

قال: **صدقت**.

فخرجوا من ذلك الوادي وقال عليه الصلاة والسلام: «**هذا واد به شيطان**» فلما جاوزه أمرهم أن يتوضؤوا.

ثم توضأ الرسول ﷺ والمسلمون فأذن، ثم صلوا السنة، ثم أقام بلال للصلاة وصلى بهم رسول الله ﷺ وقال لهم بعد أن سلّم:

- **إذا نسيتم الصلاة فصلّوها إذا ذكرتموها.**

* * *

العروس

لما اصطفى رسول الله ﷺ صفية لنفسه خيَّرها رسول الله ﷺ لما دخلت عليه وقال لها: **لم يزل أبوك أشد يهود لي عداوة حتى قتله الله**، فقالت: يا رسول الله، إن الله يقول في كتابه: ﴿**وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ**﴾ [الأنعام: ١٦٤]. فقال لها: **اختاري، فإن اخترت الإسلام أمسكتك لنفسي، وإن اخترت اليهودية فعسى أن أعتقك فتلحقي بقومك**.

فقالت: يا رسول الله، لقد هويت الإسلام، وصدقت بك قبل أن تدعوني حيث صرت إلى رحلك، وما لي في اليهودية أرب، وما لي فيها والد ولا أخ! وخيرتني الكفر والإسلام فالله ورسوله أحب إليَّ من العتق وأن أرجع إلى قومي.

ولم يكن رسول الله يذكر أباها بحرف بعد ذلك. فأسلمت فأعتقها وتزوجها وجعل عتقها صداقها. ورأى في وجهها أثر خضرة قريباً من عينها فقال: **ما هذا؟** قالت: إني عندما تزوَّجت زوجي كنانة بن الربيع رأيت في منامي أن قمراً وقع في حِجري، فرويتها له، فلطمني وقال: ما هذا إلا أنك تتمنين أن يتزوجك ملك الحجاز محمد.

وهذا الذي في عيني من أثر لطمته.

ففرح بها رسول الله ﷺ، وخرج رسول الله ﷺ من خيبر، ولم يخرج حتى طهرت صفية من حيضتها وأتمت عدتها. فلما قُرِّبَ البعير لرسول الله ﷺ وضع لها رجله لتضع قدمها على فخذه، فأبت ووضعت ركبتها على فخذه، فسترها النبي وحملها وراءه. وهذا إكرام لها وأدب منها عظيم.

وأراد أن يعرِّس بها في منزل على بعد ستة أميال من خيبر، فامتنعت منه، فوجد في نفسه، وانصرف عنها.

فلما وصل بعسكره إلى الصهباء نزل ليرتاح ومن معه، فهيأتها أم سليم بنت مِلْحان أم أنس بن مالك لرسول الله ﷺ وأدخلتها عليه، فلما أقبل عليها تذكر انصرافها الأول عنه فرجع، وقال لها:

- ما حملك على الامتناع أولاً؟

قالت: خشيتُ عليك قرب اليهود يا رسول الله.

فبات معها في قبة في ذلك المنزل «المكان» وأبو أيوب الأنصاري «خالد بن زيد» رضي الله عنه يحرسه طوال الليل، فقد تذكر ما فعلت زينب بنت الحارث عندما قدمت لرسول الله ﷺ الشاة المسمومة، وتذكر أن صفية أبوها وزوجها قتلهما المسلمون وأنها حديثة عهد بالإسلام وكانت يهودية وأذل الرسول ﷺ أهلها فخاف عليه منها.

فلما أصبح الرسول ﷺ وجد أبا أيوب على الباب فقال له:

- ما لك يا أبا أيوب؟

- قال: يا رسول الله، خفت عليك من هذه المرأة.

- قال: **اللهم احفظ أبا أيوب كما بات يحفظني.**

ولما أصبح جاءتها النسوة فسألنها، فأخبرتهن أن رسول الله ﷺ سرَّ بها وتحدث معها الليل ثم اغتسلت.

وأولم رسول الله ﷺ هناك، وكانت وليمته الحِيْس يعني التمر والدقيق وقيل: السمن والأقط والتمر. والوليمة سُنّة من سنن الإسلام في الأفراح وتكون بعد ليلة الزفاف.

* * *

ولما أشرفوا على المدينة لم تدخل النساء بيوتهن حتى أقبلن على صفية يباركن لها ومعهن عائشة، وحفصة، وزينب بنت جحش، وجويرية ليرين كيف ستكون العروس في عين زوجهن، فلما خرجت عائشة قال لها الرسول ﷺ:

- كيف رأيتِ يا شقيراء؟

- قالت رأيت يهودية بنت يهوديات.

- فقال لا تقولي ذلك؛ فإنها أسلمت وحَسُنَ إسلامها.

صفية مع الضرائر

أصبح لصفية حجرة إلى جانب حجرات أمهات المؤمنين، وأصبحت تشاركهن في قلب الزوج النبي الحبيب، ولكنها آثرت بفطنتها أن تكسب وُدَّ عائشة بنت أبي بكر الأثيرة هي وأبوها في قلب النبي، وآثرت أن تكسب ود حفصة بنت عمر، فاروق الأمَّة، هذا بالإضافة على حرصها على صلة ومودة الزهراء بنت الرسول ﷺ.

فكانت صفية ترسل هداياها إلى عائشة وحفصة والزهراء وتصلهن.

وحدث أن افتخرت عائشة على صفية بأنها قرشية، فبكت، فقال لها النبي ﷺ:

- ألا قلتِ لهن: كيف تكُنَّ خيراً مني وأبي هارون وعمي موسى وزوجي محمد ﷺ.

فقد كانت صفية حفيدةً لهارون عليه السلام.

وكانت صفية صانعة طعام ماهرة، فقدمت لرسول الله ﷺ طعامًا يومًا وهو عند عائشة، وذكر صفية بالخير وتناول منها الطعام ليعطي عائشة وباقي أمهات المؤمنين، فاغتاظت عائشة وأمسكت بالإناء وكسرته، فقال عليه الصلاة والسلام لعائشة:

- **إناء بإناء وطعام بطعام.**

فقالت عائشة: ألا تكف عن ذكر ابنة اليهودي؟!

قال: إنها أسلمت وحسن إسلامها.

فسبت صفية أبا بكر.

فقالت حفصة بنت عمر: بنت يهودي!!

وغضب رسول الله ﷺ من صفية لسبها أبا بكر، فأرادت أن تسترضيه، وهي تعلم حبه لعائشة فوهبت ليلتها لعائشة وقالت لها:

- يا عائشة، هل لك أن تسترضي رسول الله عني ولك يومي؟

قالت: نعم يا صفية.

فأتى رسول الله عائشة فتعطرت وجلست بجواره فقال لها:

- **إليك يا عائشة عني فإنه ليس بيومك.**

فلما أخبرته بالخبر رضي، فقالت له:

- ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

وأتت صفية النبي ﷺ ذات ليلة وهو في اعتكافه بالمسجد، فلما أرادت أن تذهب لحجرتها أراد أن يوصلها، فلما رآه رجلان من الأنصار معها أسرعا فقال لهما:

- على رسلكما، إنها صفية.

فقالا. الله أكبر يا رسول الله.. نعوذ بالله، سبحان الله يارسول الله.

- فقال لهما: **إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم من اللحم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئًا فتهلكا.**

وحجتً صفية مع النبي ﷺ حجة الوداع، وفي الطريق برك جمل صفية، فبكت فأتاها رسول الله ﷺ فجعل يمسح دموعها بيديه الشريفتين وهي مستمرة في بكائها، فذهب إلى زينب بنت جحش وقال لها:

- يا زينب، إن بعيراً لصفية اعتلّ لو أعطيتها بعيراً؟

قالت: أنا أعطي تلك اليهودية؟!

فتركها رسول الله غاضبًا شهرين أو ثلاثة لا يكلّمها حتى يئست من أن يرجع لها، فلما كان ربيع الأول دخل إليها، فأرادت أن ترضيه فأعتقت جارية لها.

وعندما حانت وفاة الرسول ﷺ اجتمع عنده نساؤه في بيت عائشة.

وكانت صفية شديدة الحب لرسول الله ﷺ فلما رأت ما به من ألم المرض قالت له:

– إني والله يا نبي الله لوددتُ أن الذي بك بي.

فتغامزت أمهات المؤمنين عليها، فقال لهن:

– مضمضن من تغامزكن بها؟ والله إنها لصادقة.

صفية بعد الرسول ﷺ

وبعد وفاته ﷺ عاشت مؤمنة عابدة كما كانت معه، واجتمع نفر في حجرتها يقرؤون القرآن فسجدوا وهم يتلون فقالت لهم:

- هذا السجود وتلاوة القرآن فأين البكاء؟!

ووشت بها جارية لها عند الفاروق رضي الله عنه فبعث إليها فجاءته؛ فقال لها:

- بلغني أنك تحبين السبت وتصلين اليهود.

فقالت: أما السبت فإن الله أبدلني به الجمعة، وأما صلتي اليهود فإن لي فيهم رحمًا فأصلها.

ثم أعتقت تلك الجارية.

وعندما ما حوصر عثمان رضي الله عنه جعلت بينه وبين منزلها معبرًا فكانت توصل له الماء والطعام عن طريقه.

وتوفيت رضي الله عنها في عهد معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه سنة اثنتين وخمسين للهجرة، ودفنت بالبقيع -رضي الله عنها وأرضاها.

المحتويات

الموضوع	الصفحة
ابنة حُيي	٧
نقض بني النضير العهد	١١
يوم خيبر	١٣
الأسيرة	١٧
الشاة المسمومة	١٩
العروس	٢٣
صفية مع الضرائر	٢٦
صفية بعد الرسول	٣٠
المحتويات	٣١

العبيكان
Obeikan
(٠١) ٤٩٨٢٣٣٢